

التبيان في تفسير القرآن

(234) إلى الماء، وهو بعيد منه من غير أن يتناولوه ويدعوه إلى فمه، فإن ذلك لا يصل إليه أبدا. قوله تعالى: (و) يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والاصال) (16) آية بلاخلاق. أخبرنا تعالى ان جميع من في السموات والارض يسجدون له إما طوعا منهم او كرها. وقيل في معنى ذلك ثلاثة اقوال: احدها - قال الحسن وقتادة وابن زيد: ان المؤمن يسجد طوعا، والكافر يسجد كرها بالسيف، ويكون المعنى على هذا إن السجود واجب، فالمؤمن يفعل طوعا والكافر يؤخذ بالسجود كرها اي هذا الحكم في وجوب السجود [الثاني - ان المؤمن يسجد طوعا، والكافر في حكم الساجد كرها بما فيه من الحاجة اليه، والذلة التي تدعو إلى الخضوع] تعالى. الثالث - قال ابو علي: سجود الكره بالتذليل للتصريف من عافية إلى مرض، وغنى إلى فقر وحياة إلى موت كتذليل الاكم للحوافر في قول الشاعر: ترى الاكم فيها سجدا للحوافر (1) وقال الزجاج: يجوز ان يكون المعنى إن فيمن سجد [من يسهل ذلك عليه وفيهم من يشق عليه فيكرهه، كما قال " حملته أمه كرها وضعته كرها " (2). وقوله " وظلالهم بالغدو والاصال " أي وتسجد ظلّهم. وقيل في معناه قولان: احدهما - ان سجود الظلال بما فيه من تغير الذلة التي تدعو إلى صانع غير _____ (1) قد مر هذا البيت في 1: 263، 4: 233، 6 / 197، 235 (2) سورة الاحقاق 46 آية 15